

## الكشف والشهود ... حقيقته وقيّمته المعرفية

د. ممدّد الربيعي (\*)

### ملخص البحث

يُعدّ القلب أحد أهمّ أدوات المعرفة التي زوّد الله بها الإنسان، فإذا ما طهّر الإنسان قلبه وأزال عنه الحجب الظلمانية والنورانية فإنّه سينكشف له الواقع وسيشاهد الحقائق على ما هي عليه فيسمع أصوات الملكوت ويشمّ روائحه.

وعلى الرغم من وجود الكثير من الآيات والروايات التي تُشير إلى الحقيقة المتقدّمة وإعتقاد الكثير من علماء الإسلام بأفضليّة طريق القلب على طريق العقل إلاّ أنّه وقع الكلام والإختلاف بين العلماء في حقيقة الكشف والشهود وجدوائية طريق المجاهدة في نيل المعارف وحجّية ذلك الطريق. وهذا المقال وجيزةٌ مختصرةٌ في بيان حقيقة الكشف والشهود وأنواعه وأفضليته على طريق النظر الفكري وحجّيته وقيّمته المعرفية.

الكلمات المفتاحية: الكشف والشهود، القلب، الكشف الصوري، الكشف المعنوي، حجّية الكشف والشهود، الكشف الأتمّ، الكشف الميّن.

(\*) دكتوراه في علم التفسير المقارن، جامعة المصطفى العالمية.

## مدخل

لقد خلق الله تعالى الإنسان وأسكنه في هذه الأرض لإعمارها وإقامة العدل فيها ثم استثمار كل الطاقات والإمكانات التي وفرها له للمضي قدماً في السير والسلوك إليه والرجوع إلى عين الوجود وحقيقته من خلال مجاهدة النفس وترويضها والتعالي في القوس الصعودي حتى التخلّص من كل التعيّنات التي علقت به حين نزوله إلى هذا العالم.

ثم إنّه تبارك وتعالى كان قد زوّد الإنسان بمجموعةٍ من الأدوات والوسائل التي يمكنه من خلالها الاتّصال بالعالم الخارجي وما يحيطه من واقعيّاتٍ كي يتسنى له العيش والمعرفة والرقى إلى ما يريد الله منه.

ولما كان متن الواقع أعمّ ممّا يلمسه الإنسان ويدركه بحاسة اللمس أو يشمه بمشامه أو يذوقه بلسانه أو يسمعه بأذنه أو يبصره بعينه - إذ الواقعيّة أعمّ من هذا كلّه وممّا هو باطنٌ بالنسبة لتلك الحواسّ الظاهرة - كان من الواجب على الله تعالى في حكمته أن يزوّد الإنسان بما يناسب العوالم الباطنيّة حتى يتسنى له أن يتّصل بتلك العوالم؛ إذ لا يقتصر خلق الإنسان على هذا الظاهر المادّي فقط، بل هناك باطنٌ له ولباطنه باطنٌ وهكذا إلى عدّة بطونٍ يمكن أن يستشعرها الإنسان من المقارنة بين مرحلة وجوده المادّي - وهو هذا الظاهر - ومرحلة وهمه ثمّ خياله ثمّ عقله، فإنّ هذه المراحل من جملة مراتب باطن الإنسان.



## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

وفضلاً عن ذلك الإستشعار فإنّ النصوص الدنيّة جاءت تبين هذه الحقيقة بكثافة - وستعرض لها بعد قليل - ولذا فإذا أراد الإنسان أن يمضي قدماً في مسير التقرب إلى الله سبحانه أو حتّى لو أراد أن يستكشف هذا العالم (بشكله العام) وما ينطوي عليه من حقائق فعليه أن يسلك المسالك الخاصّة بذلك الإستكشاف وإلا فإنّ هذه الأدوات الظاهرة لا يمكن لها أن تنال شيئاً من تلك الحقائق القاطنة في مرتبة هي أعلى من هذه المرتبة الوجوديّة التي نحسّها ونراها، ومن رام الوصول إلى تلك الحقائق بهذه الأدوات الظاهرة كان كمن رام معالجة المسامير بمفكّ الأنايب دون ما يناسبه من مفكّات، أو كان كمن أراد أن يكتشف خواصّ المعادن متوسّلاً بعقله من دون استخدام أدوات العلوم التجريبيّة ومختبراتها، وهذا الأمر وكيفيّة تفاوت العلوم بمنهجها وأدواتها من الأمور الواضحة التي لا حاجة لها ببيانٍ طويل<sup>(١)</sup>.

وتأسيساً على ما تقدّم يتّضح أنّ هناك منهجاً وأداةً يمكن لها أن تُدرك باطن هذا العالم وتلمس ما يمكن أن يلمس منه كما يمكن لها أن تذوق ما يُذاق وتشمّ ما يُشم وهكذا تُدرك ما يمكن له أن يُنال بأعلى مرتبة من مراتب تلك الأدوات الباطنيّة وهي المعاني السعيّة الوجوديّة للعوالم الباطنيّة والحقائق المستورة خلف الحُجب الظلمانيّة والنورانيّة<sup>(٢)</sup>.

وهذا المنهج وتلك الأداة هي ما تفرّد العرفاء باستخراجه من النصوص وتحقيقه والإشارة له؛ فإنّ للعرفاء منهجاً خاصّاً في التعاطي مع الواقع، وهذا المنهج لم يسر عليه غيرهم وبالتالي فهو - وللأسف - محصورٌ بين طبقةٍ خاصّةٍ من المسلمين ولم يتسن لأيّ طبقةٍ أخرى الإفادة منه حقّ الإفادة، على أنّه من الممكن لهذا المنهج أن يكون وسيلةً من وسائل الوصول إلى المعارف، وآليّةً من

آليات تفسير الوجود، وهو ما يعبرون عنه بمنهج «الكشف والشهود»، ونحن نحاول في هذه العجالة أن نسلط الضوء على حقيقة هذا المنهج وأداته وقيمتها المعرفية في عدة مقدماتٍ وعناوين.

### منهج نيل المعارف العرفانية

يُعدّ موضوع الكشف والشهود من المباحث البالغة الأهمية والتي ترتبط بنظرية المعرفة بنحوٍ مباشرٍ.

كما يُعدّ هذا الموضوع مفتاحاً بل من أهمّ مفاتيح نظرية المعرفة عند العرفاء؛ إذ إنّ البحث في مصادر المعرفة وأدواتها عند العرفاء وتحليل ذلك والإطلاع على حقيقته له إرتباطٌ وثيقٌ بمعرفة المنظومة الفكرية التي يدعيها العرفاء.

وكما أنّ للعرفاء منطقهم الخاصّ بهذا الفنّ، كذلك لهم قواعدهم في إكتساب المعرفة والحصول عليها من خلال الكشف والشهود.

فطريق العارف لإكتساب المعارف هو طريق الكشف والشهود، وآلات هذا الكشف هي القلب<sup>(٣)</sup> والقوة القدسية<sup>(٤)</sup>.

ومما لا شكّ فيه أنّ لكلّ علمٍ من العلوم منهجاً يختصّ به لنيل المعارف والوصول إلى الهدف المنشود من ذلك العلم؛ حيث إنّ المنهج: هو الطريق والمسير الذي يوصل إلى الهدف والمقصد؛ لذا كان لكلّ علم منهجٌ يمكن من خلاله إثبات المدّعات والفرضيات أو نفيها، وقد إختصّ علم العرفان من بين كلّ العلوم بمنهج الكشف والشهود وذلك لأنّ العرفاء يعتقدون بأنّه من غير الممكن لأيّ منهجٍ آخر أن ينال ما يطمحون لنيله من حقائق وجودية.

ومن الواضح جدّاً من كلمات العرفاء أنّ أفضل منهجٍ وطريقٍ موصلٍ إلى

## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

الحقائق هو (الكشف والشهود)<sup>(٥)</sup>.

ثم إن أكثر العرفاء لا يُنكرون العقل وقيمه، لكنهم يعتقدون أن العقل الفكري عاجز عن إدراك حقائق الأشياء والوصول إلى كنهها؛ ذلك لأنه مجعولٌ ومجبولٌ على إدراك مرتبةٍ من مراتب الواقع، فإذا رمنا إدراك ما هو أعلى فعلينا أن نتوسل بأداةٍ أخرى ومنهجٍ آخر.

فكما أن إدراك المحسوسات متوقفٌ على الحسّ والحواسّ الخمس، وإدراك الموهومات متوقفٌ على الوهم وكذا المتخيّلات والمعقولات متوقفٌ على المتخيّلة والمتعلّلة فكذلك إدراك ما هو أعلى من العقل متوقفٌ على المراتب الإدراكية التي هي أعلى من العقل<sup>(٦)</sup>.

أو قل إن للإنسان حقيقةً درّاسةً لها عدّة مراتب يمكنه من خلالها - وبحسب مراتبها - كشف الواقع بمختلف مراتبه فمرتبة الحسّ من تلك الحقيقة الدرّاسة تُدرِك الواقع المحسوس فيحصل كشفٌ حسيٌّ، ومرتبة العقل من تلك الحقيقة تُدرِك الواقع المعقول فيحصل كشفٌ عقليٌّ، وهناك مرتبة تُدرِك ما لا يمكن للعقل أن يُدرِكه فيحصل حينئذٍ الكشف الذي هو طورٌ فوق طور العقل وهو الكشف محلّ البحث.

والمرتبة التي يمكنها أن تُدرِك ما هو أعلى من طور العقل هي القلب، ومنهج هذا الإدراك - بحسب إصطلاح العرفاء - هو الكشف والشهود، وهو مرتبة أرقى وأعلى من مرتبة العقل الفكري، فإنه يمكنه إكتناه تلك الحقائق متى ما كان صافياً خالصاً منوراً بنور القوّة القدسيّة، فكما أن من فقد حسّاً فقد علماً، وكما أن من كانت قوّته العقليّة مشوبةً بالوهم أو ملفوفةً بالبلادة لا يمكنه إدراك الدقيّات العقليّة، فكذلك صاحب القلب إذا كان

قلبه محجوباً برين الذنوب والمعاصي فإنَّ عينيه لا يمكن لهما الرؤية الصافية، وبالتالي فالعرفاء يفضلون المعرفة الكشفية وطريقها على المعرفة العقلية وطريقها<sup>(٧)</sup>، لأسبابٍ عدّة لا يسع هذه العجالة ذكرها<sup>(٨)</sup>.

### قيمة العقل عند العرفاء

إنَّ إثبات عجز العقل الفكري عن إدراك ما هو أعلى منه، ليس نفيّاً لإمكانية إدراك كلّ المراتب، فكما أنّ ما يُدرك بالعقل المتعارف لا يُدرك بالمتخيّلة إلاّ بعد تنزّله، وهكذا ما يُدرك بالمتخيّلة لا يمكن أن يُدرك بالمتوهّمة، فهكذا ما يُدرك بالمرتبة العالية من العقل لا يمكن أن يُدرك بالمرتبة النازلة منه إلاّ بعد تنزّله، فيكون إدراكاً بتوسّط تلك المرتبة العالية. فكما أنّه لا ينبغي أن يُتوقّع من القوّة الحسيّة أن تُدرك الكلّيّات المفهوميّة، كذلك لا ينبغي أن يُتوقّع من العقل الفكري المتعارف أن يُدرك المكاشفات والكلّيّات السعيّة.

ولذا يقول الغزالي: «إنَّ العقل ليس مستقلاًّ بالإحاطة بجميع المطالب ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات... ووراء العقل طورٌ آخر تنفتح فيه عينٌ أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل، وأموراً أخرى العقل معزولٌ عنها كعزل قوّة التمييز عن إدراك المعقولات، وكعزل قوّة الحسّ عن مدركات التمييز»<sup>(٩)</sup>.

والجدير بالذكر أن بعض العرفاء لا يحصرون مفهوم العقل وحقيقته بالقوّة المفكّرة فقط، بل يوسّعونه إلى القوّة المدركة في الإنسان التي هي على مراتب تبدأ من الحسّ وإدراكه مروراً بالقوّة المفكّرة وصولاً إلى المرتبة التي تُدرك المعاني الكلّيّة (لا المعاني الجزئيّة)، والتي تسمّى مرتبتها المتوسّطة بـ(العقل)، ويُطلق على مرتبتها العالية (القلب)، ولكن ممّا شاع عند الناس أنّ



## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

العقل هو القوّة المفكّرة فحسب.

يقول أبو حامد التريكي في حدّ العقل هو «كلّ ما يُدرِك معنى كلياً أو حقيقةً كليّةً»<sup>(١٠)</sup>.

أي: إنّ للعقل إطلاقاً عدّة، ومن إطلاقاته ما يُطلق على القوّة التي تُدرِك المعاني الكليّة المفهوميّة بالنظر والبرهان، كما أنّ من إطلاقاته ما يُطلق على القوّة التي تُدرِك الحقائق الوجوديّة الكليّة السعيّة بالكشف والوجدان، فالعقل نسخ حقيقة لها مراتب، المرتبة العالية منها هي القلب والقوّة القدسيّة، والمرتبة المتوسطة منها هي ما يُدرِك العلوم الرسميّة وهي القوّة المفكّرة، والمرتبة الدانية منها هي الوهم.

فكلّ ما يدرِك معنى كلياً مفهوماً أو حقيقةً كليّةً وجوديّةً سعيّةً، يصدق عليه حدّ العقل ورسمه سواء كان ذلك الإدراك بالنظر والبرهان (كما في بعض مراتب العقل من المفهوم الكلي) أو بواسطة الكشف والوجدان (كما في الحقيقة الكليّة السعيّة الوجوديّة)<sup>(١١)</sup>.

نعم، إنّما كان منشأ التفرقة بين العقل وما فوق العقل من طور: أنّ العقل بالمعنى الذي يُتداول بين الناس ويقولون به ويعبرون عن العلوم المنسوبة إليه بالعلوم الرسميّة - سيّما المشائين منهم - إنّما يريدون بالعقل القوّة الفكرية التي تأخذ العلوم من مبادئها الحسيّة والوهميّة والخياليّة بتوسّط استخراج الأوساط - التي تقع بين الصغرى والكبرى - وتألّفها مع الأصغر والأكبر، ولا شكّ أنّ هذه المرتبة الفكرية إنّما هي من بعض قوى مطلق العقل ومراتبه لا أنّها العقل كلّ، غير أنّ هؤلاء الحكماء ضيقوا الإطلاق الواسع للعقل بهذه المرتبة، بيد أنّ حقيقة العقل أوسع من هذا الإصلاح<sup>(١٢)</sup>.

إذن، فالعقل عند العرفاء هو حقيقة ذات مراتب، ومن مراتبه القوّة الفكرية التي تُدرك الكليات المفهومية، كذلك من مراتبه القلب الذي يُدرك الحقائق والمعاني الكلية والجزئية الوجودية السعيّة لا المفهومية.

### الفارق بين العقل والقلب

ثم إنَّ العرفاء يقصدون من (القلب) مرتبةً من مراتب النفس، وهو النفس الناطقة، كما هو اللطيفة الربانية التي تمثل مصدر العلم ومنبع المكاشفات، وهي التي تُدرك المعاني الكلية والجزئية من الإنسان. قال القيصري في أوّل الفص الشعبي: «... إنَّ (القلب) يطلق على النفس الناطقة إذا كانت مشاهدةً للمعاني الكلية والجزئية متى شاءت. وهذه المرتبة مسماةً عند الحكماء بـ «العقل المستفاد»...»<sup>(١٣)</sup>.

وقال ابن عربي: «فالقلب هو القوّة التي وراء طور العقل»<sup>(١٤)</sup>. فالقلب يُدرك المعاني المجردة لكنّه يختلف في إدراكه لهذه المعاني عن العقل بأمرين:

الأوّل: أنّ ما يدركه العقل من بُعدٍ على صورة مفهوم كليّ يشاهده القلب عن قربٍ على شكل موجودٍ شخصيٍّ خارجيٍّ له سعةٌ وجوديةٌ. الثاني: وهو نتيجةٌ للفارق الأوّل وهو أنّ العقل يعجز عن إدراك كثيرٍ من الحقائق لإنحصاره في إطار الإدراك المفهومي، أمّا القلب فلا إدراكه الشهودي يحيط علماً بالكثير من الأسرار الكلية، بل والجزئية للعالم. ومن ذلك تعرف أنّ القلب ليس مصدراً من مصادر المعرفة بل هو وسيلةٌ وأداةٌ من أدواتها<sup>(١٥)</sup>.





### النصوص الدالّة على وجود حقائق فوق طور العقل

ومن النصوص التي تدل على وجود حقائق خارجة عن حدّ العقل المتعارف بيان العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) في ذيل الخبر المنقول عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) «إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم»<sup>(١٦)</sup>.

حيث قال العلامة: «وهذا التعبير إنّما يحسن إذا كان هناك من الأمور ما لا يبلغه فهم السامعين من الناس، وهو ظاهر».

وقوله (صلى الله عليه وآله): «نكلّم ... الخ»، ولم يقل: نقول، أو نبين، أو نذكر، ونحو ذلك، يدل على أنّ المعارف التي بيّنها الأنبياء (عليهم السلام) إنّما وقع بيانها على قدر عقول أممهم، ميلاً من الصعب إلى السهل، لا أنّه اقتصر بهذا المقدار من المعارف الكثيرة إرفاقاً بالعقول، إقتصاراً من المجموع بالبعض.

وبعبارة أخرى: التعبير ناظرٌ إلى الكيف دون الكمّ، فيدلّ على أنّ هذه المعارف حقيقتها التي هي عليها، وراء هذه العقول التي تسير في المعارف بالبرهان والجدل والخطابة، وقد بيّنها الأنبياء (عليهم السلام) بجميع طرق العقول من البرهان والجدل والوعظ كلّ البيان، وقطعوا في شرحها كلّ طريقٍ ممكن.

ومن هنا يعلم أنّ لها مرتبةً فوق مرتبة البيان اللفظي؛ لو نزلت إلى مرتبة البيان دفعتها العقول العادية، إمّا لكونها خلاف الضرورة عندهم، أو لكونها منافيةً للبيان الذي بيّنت لهم به، وقبلته عقولهم.

ومن هنا يظهر أنّ نحو إدراك هذه المعارف بحقائقها غير نحو إدراك العقول، وهو الإدراك الفكري»<sup>(١٧)</sup>.

بعدهما تقدّم من مقدّماتٍ يصير من السهل علينا أن نلج البحث في حقيقة الكشف والشهود وبيان ماهيته فنقول:

عرّف المحقّقون من العرفاء الكشف بما لا يتعدّ كثيراً عن معناه اللغوي فزاهم يقولون: «الكشف لغة: رفع الحجاب، يُقال: كَشَفَتِ المرأة وجهها، أي رفعت نقابها.

وإصطلاحاً: هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية [أي من الأسماء والصفات] والأمور الحقيقية [أي الموجودة خارجاً]...»<sup>(١٨)</sup>.  
ويقول الجندي: «...إنّ الكشف عبارة عن رفع الحجب الظلمانية والنورية التي بين الحقيقة وبين المدرك منّا»<sup>(١٩)</sup>.

فإذا ما تنبّه الإنسان واستيقظ من نوم الغفلة وأحسّ على نفسه وأدرك أنّه مخلوقٌ لغايةٍ وهدفٍ وأنّ عليه أن يجدّ في السير للوصول إلى تلك الغاية عن طريق صراطها المستقيم الذي رسمه له الأنبياء (عليهم السلام)، إذا كان ذلك وسار الإنسان في طريق السير والسلوك وتدرّج في مدارج المنازل والمقامات الروحية وإنصرف عن الدنيا وزينتها وخلص من شباكها وحبالها، وإرتفعت الحجب التي كانت تحول بين قلبه وبين متن الواقع، وتوجّه بسرّه إلى الله تعالى، نبعت من قلبه الأنوار الإلهية<sup>(٢٠)</sup>، وانفتحت له مغاليق الحقائق فتتكشف له - عند ذاك - المشاهدات والكشوفات، فيرتقي عن طور العقل الفكري ويصل إلى مرتبة أعلى من الإدراك المفهومي، وعندها يرى حقائق لم تكن لتتكشف له لولا هذا الطور من الإدراك الذوقي الكشفي.



### المنهج الكشفي في النصوص الدينية

إذا ما رجعنا إلى القرآن الكريم فسنجد أنه قد صرح في عدّة من آياته على أصل وجود المنهج القلبي العرفاني (منهج الكشف والشهود) كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢١)</sup>؛ حيث إنّ السالك - كما عليه العرفاء - لا يصل إلى الكشف والشهود الحقيقي إلاّ بعد قطع المنازل والمقامات الطبيعيّة والنفسية والوصول إلى معدن الحقيقة، وهذا لا يتم إلاّ بتهديب النفس وقطع علائقها بعالم المادّة وترك الدنيا وملذّاتها والتمكّن في تقوى الله سبحانه ومراقبة النفس، والآية الكريمة تنصّ على أنّ من يتقي الله يجعل الله له فرقاناً يمكنه من خلاله التمييز بين الحقّ والباطل والتفريق بينهما، والسالك الواصل متمكّن من تقوى الله قطعاً وإلاّ لما وصل، فتكون النتيجة أنّ الله يعطيه قوّة يمكنه من خلالها التمييز بين باطل الكشف وصحيحه. ومن تلك الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا...﴾<sup>(٢٢)</sup>.

قال العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: «الفرقان ما يفرق به بين الشيء والشيء، وهو في الآية بقريّة السياق وتفريعه على التقوى، الفرقان بين الحقّ والباطل سواء كان ذلك في الاعتقاد بالترفة بين الإيمان والكفر وكلّ هدى وضلالٍ أو في العمل بالتمييز بين الطاعة والمعصية وكلّ ما يرضي الله أو يسخطه، أو في الرأي والنظر بالفصل بين الصواب والخطأ فإنّ ذلك كلّه ممّا تثمره شجرة التقوى، وقد أطلق الفرقان في الآية ولم يقيد...»<sup>(٢٣)</sup>.

ولعلّ هذا معنى ما أشار إليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله الشريف: «... وما برح لله عزّت آلاؤه في البرهة بعد البرهة وفي

أزمان الفترات عباد نأجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فأستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة، يُذكرون بأيام الله، ويخوفون مقامه، بمنزلة الأدلة في الفلوات... فكأنها قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك، فكأنها اطلّعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه، وحققت القيامة عليهم عداتها، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمعون...» (٢٤).

فكأن مشاهداتهم تلك نوع إدراك أعلى من الإدراك العقلي المفهومي، بل هو شهودٌ ذوقِيٌّ للحقائق بقوة أعلى من القوة المفكرة.

وكذلك ما ورد في كتاب عوالي اللئالي، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «إذا أدنى العبد من الله يُدني الله إليه، ومن تقرب إليه شبراً تقرب إليه ذراعاً، ومن تقرب إليه ذراعاً تقرب إليه باعاً، ومن أتاه مشياً جاءه هرولاً، ومن ذكره في ملا ذكره في ملا أشرف، ومن شكره شكره في مقام أسنى، وإذا أراد بعبد خيراً فتح عيني قلبه فيشاهد بها ما كان غائباً عنه» (٢٥).

فما ينص عليه الحديث المتقدم أن الإنسان إذا تقرب إلى الله تعالى فتحت عينا قلبه وإذا إنفتحت هذان العينان فإنه سيشاهد ما كان غائباً عنه فلم يستطع أن يراه قبل ذلك.

ويقول الفيض الكاشاني في تقريره لأنواع العلم: «العلوم الدينية قسمان: قسم يقصد لذاته وهو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو إما تحقيقي أو تقليدي».

فالتحقيقي نورٌ يظهر في القلب فينشرح فيشاهد الغيب وينفسح فيحتمل البلاء ويحفظ السر، وعلامته التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود

## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

والتأهب للموت قبل نزوله ويسمى بالعلم اللدني أخذاً من قوله سبحانه ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(٢٦)</sup>، وهو أفضل العلوم وأعلاها، بل هو العلم حقيقةً وما عداه بالإضافة إليه جهلٌ، وهو المقصد الأقصى من الإيجاد<sup>(٢٧)</sup>.

وفي بيانه لطريق هذا النوع من العلم يقول الكاشاني: «وطريق معرفة العلم التحقيقي اللدني تفريغ القلب للتعلم، وتصفية الباطن بتخليته من الرذائل، وتحليته بالفضائل ومتابعة الشرع وملازمة التقوى، كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٢٨)</sup>، وقال: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾... ومثل ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلما أضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشي سبباً لإضاءة قطعة أخرى منه وهكذا، فالعلم بمنزلة السراج والعمل بمنزلة المشي وفي الحديث النبوي أيضاً: «ما من عبدٍ إلا ولقلبه عينان وهما غيب يدرك بهما الغيب فإذا أراد الله بعيداً خيراً ففتح عيني قلبه فيرى ما هو غائب عن بصره»، وفي أخبار أهل البيت (عليهم السلام) من أمثال هذه الكلمات أكثر من أن تحصى ولا سيما في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) «...»<sup>(٢٩)</sup>.

ثم إن هذه الإدراكات الذوقية والمكاشفات العرفانية ترافق السالك مدى سلوكه وعروجه وحركته الأنفسية، ولكنها تتفاوت باختلاف قربه وبعده من المقصد، وكذلك تتفاوت باختلاف استعداده الروحي.

ويمكن أن نستنتج ممّا تقدّم أموراً، منها:

١. إن الكشف لا يحصل إلا بعد رفع الحجاب الذي يحجب السالك عن

معاينة الحقائق الوجودية.

٢. إن الحجاب متعلق بنفس السالك وغيابه عن العوالم الغيبية وإلا

فتلك العوالم لا يجيبها عن السالك شيء، كما ورد عن الإمام السجّاد (عليه السلام) في دعاء أبي حمزة الثمالي من قوله: «وإنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تجبهم الأعمال دونك»<sup>(٣٠)</sup>.

٣. إنَّ الكشف وما يشاهده السالك ليس من مقولة المفهوم، بل هو من قبيل الحقائق الوجودية المعنوية.

٤. إنَّ الكشف على مراتب تتناسب مع قوّة السالك وقربه من الحقيقة وقوّة سيره وسلوكه وغيرها من العوامل.

٥. إنَّ الكشف درجة عالية من العلم الحضوري.

### أنواع الكشف ومراتبه

تقدّم أن إدراك الإنسان على مراتب تبدأ من الإدراك والكشف الحسي، ثمّ الإدراك والكشف العقلي، ويليهما الإدراك والكشف القلبي، وهذا الإدراك القلبي على قسمين هما: الكشف الصوري، والكشف المعنوي.

فعند تتبّع كلمات العرفاء والمحقّقين في الدراسات العرفانية نراهم يذكرون نوعين للكشف القلبي:

#### ١. الكشف الصوري

يقول القيصري في بيانه لهذا النوع: «وهو ما يحصل في عالم المثال عن طريق الحواس الخمس...»<sup>(٣١)</sup>.

ولتوضيح المقصود لا بدّ من الإشارة إلى أنّ العرفاء يقسمون العوالم بشكلٍ كليٍّ إلى ثلاثة عوالم هي: عالم الأرواح أو العقل، عالم المثال، وعالم المادّة. قال ابن تركه في بيان ذلك: «... إنّ الموجودات التي في العوالم أقربها

## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

نسبة [إلى العالم الربوبي] وأبسطها ذاتاً إنّما هو العقل الأوّل؛ إذ له ضربٌ واحدٌ من التركيب لا غير، وهو أنّ له ماهيةً متّصفاً بالوجود، وهو أوّل مراتب الإمكان، وهو من عالم الأرواح، فأقرب العوالم نسبةً إلى المرتبة الإلهية إنّما هو عالم الأرواح، فأوّل الموجودات المبدعة هو عالم الأرواح دون عالم المعاني؛ لإستقلاله في الوجود وظهوره بحسب تعيُّنه، وما يلزمه من إفاضة الأحكام وصدور الآثار دون عالم المعاني... ثمّ عالم المثال؛ لظهور المعاني فيه بصور الأشكال، وذلك معنى زائدٌ حصل به ضربٌ آخر من التركيب، ثمّ عالم الأجسام لعروضه؛ هذا كلّ مع لحوقه التمكن وشغله للحيّز، وهذا أنهى الغاية في التركيب...»<sup>(٣٢)</sup>.

كما أنّ للإنسان أيضاً مراتب ثلاثة هي: العقل، والمثال، والحسّ، وللإنسان بعد الإستعانة بتلك المراتب وتوسّطها بينه وبين الموجودات - كلّ بحسب ما قابله من المراتب - إدراك موجودات العالم والتعاطي معها.

من هذا نعرف أنّ عالم المثال هو عالم يتوسّط عالم المادّة - الذي هو عالم الجسميّة البحتة - وعالم العقل - الذي هو عالم التجرّد التام - والإنسان يُدرك بمعونة الحواس الخمس ظواهر ما وقع في عالم الحسّ والمادّة من موجودات، وبمثاله يُدرك ما وقع في عالم المثال، وبعقله ما وقع في عالم العقل من تلك الموجودات.

كما أنّ الإنسان ومن خلال الأحلام والمنامات التي يراها أثناء نومه يرتبط بدرجةٍ متدنّيةٍ من درجات عالم المثال.

والعرفاء يعتقدون أنّ للإنسان - وبالإضافة إلى حواسّه الخمس الظاهريّة: الباصرة، الذائقة، الشامة، اللامسة، وحاسة السمع - حواساً خمساً

باطنيةً أخرى بموازاتها، هي باطن هذه الحواس الظاهرية، بل وتكون الباطنية أساس الظاهرية ومنشأها. فإذا أدرك الإنسان بالحواس الظاهرية كانت معرفته محصورةً بعالم المادة، وإذا أدرك بالحواس الباطنية أمكنه الإطلاع على ما هو فوق عالم المادة. والإنسان السالك - ونتيجة جهوده في طريق الوصول إلى القرب الإلهي - يدرك بحواسه الباطنية، الحقائق الموجودة في عالم المثال.

وهذا الكشف الصوري أو المثالي قد يحصل في اليقظة، وقد يحصل في النوم، وربما كان عن طريق الرؤية أو السماع أو الإستنشاق أو الملامسة أو التدوّق.

ولذا فقد قال القيصري في بيانه لأنواع الكشف الصوري: «وذلك إمّا أن يكون على طريق المشاهدة كروية المكاشف صور الأرواح المتجسّدة والأنوار الروحانية. وإمّا أن يكون على طريق السماع كسماع النبيّ (صلى الله عليه وآله) وسلم، الوحي النازل عليه كلاماً منظوماً، أو مثل صلصلة الجرس، ودويّ النحل كما جاء في الحديث الصحيح<sup>(٣٣)</sup> فإنّه (عليه السلام) كان يسمع ذلك ويفهم المراد منه. أو على سبيل الإستنشاق وهو التنسّم بالنفحات الإلهية والتنشق لفوحات الربوبية. قال عليه السلام: «إنّ لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»<sup>(٣٤)</sup>.

وقال: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن»<sup>(٣٥)</sup>، أو على سبيل الملامسة وهي بالإتصال بين النورين أو بين الجسدين... أو على طريق الذوق كمن يشاهد أنواعاً من الأطعمة فإذا ذاق منها وأكل إطلع على معانٍ غيبية. قال النبيّ (صلى الله عليه وآله) وسلم: «رأيت أنّي أشرب اللبن حتّى خرج الرّي من أظفيري... فأولت ذلك بالعلم»<sup>(٣٦)</sup>...<sup>(٣٧)</sup>.



## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

وعلى كل الأحوال، فهو متعلّق بالحواس الخمس أي: الباصرة، الذائقة، الشامة، اللامسة، وحاسة السماع، ولكن على المستوى الباطني لا الظاهري؛ ولذا فهذا النوع من الكشف غير مجرد تجرّداً تاماً عن صور تلك الحقائق بخلاف النوع التالي، وربما كان ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «... ما زلت أكرّر آيات القرآن حتّى بلغت إلى حال كأنني سمعت مشافهة من أنزلها على المكاشفة والعيان...»<sup>(٣٨)</sup>، إشارةً لذلك.

### ٢. الكشف المعنوي

وهو عبارة عن: «ظهور المعاني الغيبية والحقائق العينية»<sup>(٣٩)</sup>، وهو مرتبة من الكشف أرقى وأرفع من عالم المادة والحواس؛ إذ تُكشَف الحجب بأكملها، فيرى السالك حقائق ذاك العالم المجرد ومعانيه الغيبية مجردة عن الصورة التي رافقت الكشف الصوري.

ولهذا الكشف مراتب كثيرة تبدأ من ظهور المعاني في القوّة المفكّرة من دون إستعمال المقدمات وتركيب القياسات، بل ينتقل الذهن من المطالب إلى مبادئها ويسمّى بالحدس، ثم في القوّة العاقلة المستعملة للمفكّرة، حتّى يصل إلى ظهور المعاني في مرتبة السرّ، وينتهي بالكشف التام الأتم وهو الوحي الإلهي<sup>(٤٠)</sup>.

### القيمة المعرفية للكشف والشهود

بعد أن تعرّفنا على الكشف والشهود وحقيقته وكيفية الوصول إليه بقي علينا أن نشير إلى قيمته المعرفية وحجّيته قبل أن نبحت الموازين التي يقيمها العرفاء لمكاشفاتهم خصوصاً بعد الاعتقاد بأنّ الكشف والشهود قابلٌ لنفوذ الخطأ إليه؛ إذ رغم علو مرتبة المعرفة الكشفية وميزاتها الوجودية وخصائها

التفضيلية إلا أنّها - وكما هي المعارف الأخرى - لا تخلو من الأخطاء والإشبهات أحياناً، فالوصول إلى المعرفة الشهودية الصحيحة يتطلب مجموعة أمورٍ يؤديّ فقدانها إلى وقوع الخلل والإشبهاء في المكاشفات، ومن تلك الأمور تهذيب الباطن، وتوجّه النفس، وإشتغالها بالأمور التي توصل إلى المعرفة الصحيحة، وإبتعادها عن الدنيا وتعلّقاتها، والإلتزام الدقيق بأحكام الشريعة، كذلك صحّة السير والسلوك وقوّته، ومتابعة الأستاذ الواصل أو الإنسان الكامل، وعدم تصرّف القوى التي مادون القوّة القدسية بمدركات تلك القوّة، فإذا ما فقدت هذه الأمور أو ضعفت نفذ الخطأ والإشبهاء إلى مكاشفات العرفاء فإختلط الحقّ بالباطل<sup>(٤١)</sup>.

وعليه، فلزم البحث في قيمة الكشف والشهود وكيف يمكن له أن يكون دليلاً محكماً يتسنى لنا الإعتماد عليه في معارفنا وعقائدنا وغيرها من نواحي العلم والعمل.

ويمكن لنا - سهيلاً للفهم - أن نقسّم هذا الموضوع إلى قسمين هما:

#### الأوّل: حجّية الكشف على نفس المكاشف

حينما ترتفع الحجب عن قلب السالك يرى الحقائق الوجودية كما هي - على قدر سعته الوجودية - وعندها لا يكون هناك مجالٌ للشكّ والترديد في رؤيته لها؛ فكما أنّ الإنسان العادي عندما يفتح عينيه يرى الأشياء الماثلة أمامه ولا يشكّ أو يتردّد في تلك الرؤية، فكذلك العارف عندما تنكشف له الحقائق، بل إنّ الأمر في العارف أشدّ علماً منه في الإنسان العادي عندما يرى الأشياء الماثلة أمامه؛ ذلك لأنّ العارف يرى الحقائق وهي متّحدةً معه نوع اتّحادٍ - لا نعني به الإتحاد الباطل، بل هو نوع من أنواع السعة الوجودية التي



## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

تحصل للسالك - وبالتالي فسيكون علمه ذلك علماً حضورياً كعلم الإنسان بنفسه وهذا النوع من العلم لا يمكن أن يحصل فيه الشك أو التردد لحصول الشعور الكامل بالحقيقة المدركة على نحو الحضور ويكون المدرك والمدرك شيئاً واحداً لفناء المدرك بالمدرك، هذا أولاً.

وثانياً لإتحاد العالم والعلم والمعلوم<sup>(٤٢)</sup>؛ إذ إن هذه المرتبة من مراتب العلم تستتبع الإتحاد بين هذه الأمور الثلاثة، وعليه لا يبقى أي مجال للغيرية التي هي سبب دخول الشك<sup>(٤٣)</sup>.

كما يمكن لنا أن نضيف ثالثاً الآيات القرآنية التي تنقل لنا حالات بعض الأنبياء والصالحين وعملهم بمقتضى ما يحصل لهم من حالات كما في قصة إبراهيم ورؤيته لذبح ابنه في المنام<sup>(٤٤)</sup>، وكقصة الخضر والأعمال التي قام بها وإعتراض موسى عليه<sup>(٤٥)</sup>، وغيرها من القصص القرآنية<sup>(٤٦)</sup>، أو الرواية التي تنقل لنا أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان قد رأى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال له فيما قال: إن لك في الجنة درجاتٍ لاتناها إلا بالشهادة<sup>(٤٧)</sup>، فإن كل ذلك يدل على وجود حقيقة لهذه المكاشفات التي جرت لأصحابها وكانت حجة عليهم وإلا لما عملوا بها.

نعم، ربما يرد إشكال على ذلك وهو أن هؤلاء كانوا من المعصومين ولا شبهة في أن كل أحوالهم كانت حجة من باب العصمة التي كانوا يتمتعون بها. وللجواب نقول: ذلك صحيح، ولكن ما نريد أثباته هو أن هناك مرتبة من العلم الكشفي تحصل لأصحابها فتكون حجة عليهم فيبادروا للعمل بها، أمّا من حصلت له هذه الحالات وما هو أسمه وما هي مكانته فهذا غير منظور في كلامنا المتقدم.

## الثاني: حجّيته على غير المكاشف

وهنا يقع الكلام في حجّية المكاشفات - التي تحصل لبعض الأشخاص - على الغير، كما لو كان هناك عارفٌ ما حصلت له مكاشفةٌ ما وكانت حجّةً عليه، فجاء وأخبر بها غيره، فهل تكون هذه المكاشفة حجّةً على ذلك الغير الذي لم ير تلك المكاشفة ولم يمرّ بتجربتها؟

ربّما كان هذا مثار إختلافٍ بين المحقّقين، وخلاصة المسألة هي إنّه يمكن الإستدلال على حجّية تلك المكاشفات على الغير بالأدلة التالية:

أولاً: إذا كانت التجربة العرفانيّة (المكاشفة) بالغة حدّ التواتر، أي أن يُجرّبها وبوقوعها مجموعةٌ كبيرةٌ من العرفاء يمتنع تواطؤهم على الكذب بنفس الطريقة التي ثبتت للأخبار في علم الأصول، فإذا كان الحال هكذا فإنّ تلك المكاشفة تصبح حجّةً حتّى على غير المكاشف نفسه<sup>(٤٨)</sup>.

ولا يعتنى للتشكيك في أنّ الأخبار التي ثبتت حجّيته بالتواتر هو الإخبار عن حسّ، وهذا غير متوفّر في المكاشفات لأنّها ليست إخباراً عن حسّ؛ ذلك لأنّ الإدراك القلبي والحواسّ الباطنة أقوى وأدقّ من الإدراك الحسيّ الظاهري - كما تقدّم - عندما يحصل لأهله؛ إذ قد ثبت في محله من مباحث نظريّة المعرفة<sup>(٤٩)</sup> أنّ المعلوم بالذات للنفس هو الصورة المنطبعة (أو قل الحقيقة المتّحدة مع النفس) من المعلوم الخارجي - الذي هو المعلوم بالعرض - والمعلوم بالذات أشدّ حضوراً لدى النفس من ذلك الموضوع الخارجي؛ ذلك لأنّ نسبته إلى النفس نسبة النفس لذاتها كما ثبت في مباحث إتحاد العلم والعالم والمعلوم<sup>(٥٠)</sup>، وكمثال على ذلك روينا لأيّ منظرٍ خارجيّ؛ فإنّا نرتبط به من خلال صورته التي تنطبع في النفس من خلال البصر الظاهري، فالمرتبط بنا في



## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

الحقيقة وبالذات هو تلك الصورة التي عند النفس وما المنظر الخارجي إلا حقيقة تلك الصورة (والذي نرتبط به من خلال ما إنطبع بالنفس).

وأما في الإدراكات الكشفية الباطنية فإنَّ النفس تُدرك الحقيقة بنفسها وذاتها لا بأمرٍ عرضيٍّ.

إذن، الكشف إدراكٌ من سنخ العلم الحضورى الذي يكون فيه حضور نفس المعلوم لدى العالم من دون واسطة.

ثانياً: حاول بعض المحققين إثبات الحجية للمكاشفات العرفانية من الخارج، أي: حاول الاستدلال عليها بالإستعانة بالعقل والبراهين العقلية، والنقل والنصوص الدالة على محتوى المكاشفات، وأبرز مثال لمن قام بهذه المحاولة هو صدر المتألهين الشيرازي في كتبه الحكيمية وخصوصاً كتاب الأسفار الأربعة، فقد رتب الرؤية الكونية التي بينها العرفاء على شكل منهج فلسفيٍّ منظمٍّ ومرتبٍّ بشكلٍ منطقيٍّ وأقام عليه مجموعةً من الأدلة والبراهين العقلية والنقلية لإخراجه من حالة الإخبار المحض إلى فضاء الدليل والاستدلال العقلي، وعلى ذلك تكون تلك المكاشفات المثبتة بالاستدلال العقلي حجةً من هذا الباب.

وما تجدر الإشارة إليه أنَّ علاقة المكاشفات بالنصوص الدينية كعلاقة العقل القطعي بالنصوص الدينية، يعني كما أنه إذا كان عندنا حكمٌ عقليٌّ قطعيٌّ تعارض مع آيةٍ أو روايةٍ فإذا كانت الآية أو الرواية ظاهرةً في معارضتها لحكم العقل أولنا ذلك الظهور بما ينسجم مع العقل، فكذلك الحال فيما إذا كان الكشف قطعيًّا وتعارض مع الظاهر النقلى فيمكن تأويله بما ينسجم مع الكشف، وهذا الأمر من باب تقديم الأدلة القطعية على الأدلة الظنية.

نعم، يبقى هناك تساؤلٌ جادٌ هو: هل جميع ما يحصل للعرفاء - من غير المعصومين - يعتبر من الحقائق القطعية اليقينية؟ أم إنه من الممكن أن يتدخل الوهم أو الخيال أو الشيطان في مكاشفاتهم فيريهم ما هو حقُّ باطلاً وبالعكس؟

وهذا ما سنبحثه تحت العنوان التالي.

### موازين الكشف والشهود

تقدّمت الإشارة إلى أن الكشف نوعٌ من أنواع العلم الحضورى الذي يمتنع فيه الخطأ والاشتباه، فكل ما يراه العارف السالم فهو من الأمور الواقعية الحقيقية. غير أننا نرى أن هناك إختلافات كثيرة بين العرفاء في مشاهداتهم ومكاشفاتهم، حيث نجد الإختلاف بينهم تارة يكون طويلاً كالإختلاف الناشئ بسبب إختلاف مراتب العرفاء ومقاماتهم، فإن صاحب المقامات العالية ينكشف له من الحقائق ما لا ينكشف لصاحب المقامات الدانية، ففي كل مرتبة ومقام تنكشف حقائق وأمور غير التي تنكشف في مرتبة ومقام آخرين.

وتارة أخرى يكون الإختلاف عرضياً بحيث ينكشف لعارفٍ شيء وينكشف لآخر في مرتبته شيء آخر، كما يتراءى لأول وهلة من إنكشاف أصالة الوجود لعارف وإنكشاف أصالة الماهية لآخر<sup>(٥١)</sup>.

كما أن العرفاء أنفسهم - ورغم تأكيدهم الإتفاق على عدّة قواعد وأصول لا يمكن لصاحب الكشف أن يناع فيها<sup>(٥٢)</sup> - أقرّوا بوجود نوعين من المكاشفات؛ إذ منها ما هو رحمانى وحقٌّ وثابتٌ مُفاضٌ من الله تعالى، ومنها ما هو شيطانيٌّ ومزيّفٌ وباطلٌ نتج جرّاء وسوسةٍ شيطانيةٍ؛ وعليه فكل

## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

مكاشفةً يحتمل فيها أحد الأمرين: إمّا الشيطانية أو الرحمانية، إما حقُّ أو باطلٌ<sup>(٥٣)</sup>.

يقول المحقق العارف صدر الدين القونوي: «إعلم أن لأهل الكشف في مكاشفاتهم ومشاهداتهم ووارداتهم أغلوطاتٍ شتى لا يعرف كنهها ولا يسلم من غوائلها إلا الكمّل والأفراد من أهل العناية...»<sup>(٥٤)</sup>.

وقال الفناري في (مصباح الأنس في شرح مفتاح الغيب): «والإلقاء إمّا صحيحٌ أو فاسدٌ لا ينبغي الوثوق به، والصحيح إمّا إلهيٌّ ربانيٌّ - وهو ما يتعلق بالعلوم والمعارف - أو ملكيٌّ روحانيٌّ - وهو الباعث على الطاعة من مفروضٍ أو مندوبٍ - والفاقد إمّا نفسانيٌّ - وهو ما فيه حظُّ النفس وإستلذاها ويسمّى هاجساً - أو شيطانيّاً - وهو ما يدعو إلى معصية الحقّ كما قال الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾<sup>(٥٥)</sup>، ويسمّى وسواساً»<sup>(٥٦)</sup>.

وبناءً على ما تقدّم تتضح ضرورة وجود ميزانٍ وقانونٍ يحدّد الصحيح من المكاشفات العرفانية المختلفة، ويميّز المكاشفات الرحمانية الحقة من الشيطانية الباطلة، وإن لم يدوّن هكذا ميزان كيف يمكن الوثوق والإعتماد على مكاشفةٍ ما، وكيف يمكن جعلها أصلاً موضوعياً ومبدءاً تصديقيّاً تكون منه الإنطلاقة لبقية المسائل؟!!

والتشبّث للجواب عن الإشكال المتقدّم بكون مكاشفات العارف ومشاهداته من سنخ العلوم الوجدانية الحضورية وحضور نفس المعلوم لدى العالم من دون توسط المفاهيم، وهذا النوع من العلم لا يحتاج إلى ميزانٍ يثبته؛ وذلك لأنّه مشاهدة الحقّ على ما هو عليه لا تحتاج إلى برهانٍ وإستدلالٍ

وميزانٍ؛ فهو لا يرى صورة الشيء حتى يقال إنها تحتاج إلى ميزانٍ وقانونٍ يثبت هذه الصورة الذهنية للواقع الخارجي، لا يحلّ الإشكالية؛ وذلك حتى لو سلّمنا هذا الكلام في مقام ثبوت المكاشفات لنفس العارف المكاشف الحاصلة له تلك المكاشفات بنحو الوجدان والعلم الحضوري<sup>(٥٧)</sup>، فإنّنا لا نسلّم ذلك له عند الرجوع من المكاشفة والخروج من ذلك الحال، أو حين تفسير مكاشفته وعرضها على الآخرين، فلو كانت هذه المشاهدات حجّةً على العارف كيف تكون حجّةً على غيره<sup>(٥٨)</sup>؟ فإنّ الغير ليس عنده وجدانٌ أو حضورٌ لهذه المكاشفة؛ لذلك فمن المنطقي جدّاً أن يسأل عن الميزان الذي يثبت هذه الحقائق المدّعاة.

وباختصارٍ: إنّ العارف إذا أراد أن يترجم ما شاهده إلى ألفاظٍ وبياناتٍ فإنّه يحتاج إلى ميزانٍ وقانونٍ يزن به هذه الأمور ويعطيها الحجّة والمقبولية.

وعند مطالعة كتب العرفان وما كتبه كبار العرفاء وشراح مدرستهم سنجد التصريح منهم وفي أكثر من مكانٍ بوجود ميزانٍ لعلم العرفان، فهذا المحقّق القنوي يقول في مقدّمة مفتاح الغيب: «ولكلّ علمٍ أيضاً معيارٌ يعرف به صحيح ما يختصّ به من سقيمه وخطأه من صوابه، كالنحو في علم العبارة، والعروض لمعرفة أوزان الشعر وبحوره، والمنطق في العلوم النظرية، والموسيقى لمعرفة النغم، هذا إلى غير ذلك ممّا لا حاجة إلى التمثيل به. ولما كان شرف كلّ علمٍ إنّما هو بحسب معلومه ومتعلّقه، كان العلم الإلهي أشرفها لشرف متعلّقه - وهو الحقّ - فكانت الحاجة إلى معرفة موازينه وتحصيل ضوابط أصوله وقوانينه أمسّ.

وإنّه وإن قيل فيه: إنّّه لا يدخل تحت حكم ميزانٍ، فذلك لكونه أوسع



## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

وأعظم من أن ينضبط بقانونٍ مقننٍ، أو ينحصر في ميزانٍ معيّنٍ، لا لأنه لا ميزان له، بل قد صحّ عند الكمّل من ذوي التحقيق من أهل الله أن له بحسب كلّ مرتبةٍ واسمٍ من الأسماء الإلهية ومقامٍ وموطنٍ وحالٍ ووقتٍ وشخصٍ ميزاناً يناسب المرتبة والإسم وما عددناه، وبه حصل التميّز بين أنواع الفتح والعلوم الشهودية واللّدنية والإلقاءات والواردات والتجليات الحاصلة لأهل المراتب السنيّة والأحوال والمقامات، وبه يتمكّن الإنسان من التفرقة بين الإلقاء الصحيح الإلهي أو الملكي وبين الإلقاء الشيطاني ونحوه ممّا لا ينبغي الوثوق به...»<sup>(٥٩)</sup>.

وهذا القيصري يقول في إشارته لكيفية التمييز بين المكاشفات الحقيّة والمكاشفات الخياليّة الصرفة: «... فللفرق بينها [أي المكاشفات الحقيّة النفس أمرية] وبين الخياليّة الصرفة موازين يعرفها أرباب الذوق والشهود بحسب مكاشفاتهم، كما أنّ للحكماء ميزاناً يفرّق بين الصواب والخطأ...»<sup>(٦٠)</sup>.  
وعند تتبّع كلمات العرفاء نجد أنّ الموازين التي يضبطون بها مكاشفاتهم عبارة عن أمور:

### الأمر الأوّل: العلوم الحقيّة النظرية

حيث أنّ العلوم الحقيّة النظرية كالمنطق والفلسفة قواعد عامّة يمكن تطبيقها في مجال الإستدلالات والبراهين الدالة على الواقعيّات، فهي تُعدّ ميزاناً يُستعان به على التمييز بين الحقائق النفس أمرية والوهميات الباطلة، وعليه فلا بدّ للعارف من تحصيل هذه العلوم والوقوف على المباني الفلسفيّة والعقليّة، بشرط أن يكون الحصول على هذه العلوم مع تصفية النفس وصفاء القلب، وتهذيب الأخلاق وتزكيتها، حتّى يمكن أن تكون هذه العلوم ميزاناً

في علم العرفان، وبذلك تعتبر هذه العلوم العقلية آلة للعرفان، كما أن المنطق آلة للفلسفة.

وقد صرح بذلك أبو حامد التريكي مؤلف كتاب (قواعد التوحيد) حيث يقول في آخر بحث من الكتاب: «... لا بُدَّ للسالكين من أصحاب المجاهدة أن يخلصوا العلوم الحقيقية الفكرية النظرية أولاً، بعد تصفية القلب بقطع العلائق المكدرّة المظلمة وتهذيب الأخلاق وتزيينها حتى تصير هذه العلوم النظرية - التي تكون من جملتها الصناعة الآلية المميّزة - بالنسبة إلى المعارف الذوقية كالعلم الآلي المنطقي بالنسبة إلى العلوم النظرية الغير المتسقة المنتظمة، فلو تحيّر الطالب السالك وتوقّف في بعض المطالب التي لا تحصل له بالفكر والنظر، حصّله بالطريق الآخر، ويدرك وجه الحقّ فيه بالملكات المستفادة من هذه العلوم الحاصلة له بالفكر والنظر. هذا إذا لم يكن له شيخٌ مكملٌ يرشده في كلّ مقامٍ ومنزلٍ...»<sup>(٦١)</sup>.

#### الأمر الثاني: الوحي الإلهي والإخبار السماوي

بما أن العقل يعجز أحياناً عن إدراك بعض الأمور كالجزئيات، ولا يمكنه إثباتها، لجأ العارف إلى ميزان الوحي، وهو الإعتماد على ما إنتهى إليه عارفٌ كاملٌ معصومٌ، فيعرض العارف مكاشفاته على كشف المعصوم الذي لا يتطرّق إليه الخطأ والإشتباه ويطلق ما رآه مع ما أخبر عنه المعصوم، فإنّ مرتبة الكشف المعصوم هي مرتبة الأمر البديهي ومرتبة الكشف غير المعصوم هي مرتبة الأمر النظري، فيقيسون النظري على البديهي ويرجعونه إليه فإن وافقه أخذوا به واعتبروه حقّاً رحمانياً، وإلا تركوه واعتبروه باطلاً شيطاناً. ولأجل ذلك عبّر عن كشف العارف الذي يُطابق كشف المعصوم

## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمته المعرفية

بالكشف المبيّن؛ لأنّه نظريٌّ في ذاته إحتاج إلى واسطةٍ تبيّنه وتثبته والواسطة هي كشف المعصوم.

يقول ابن عربي في ذلك: «وإذا خالف الكشف الذي لنا كشف الأنبياء (عليهم السلام) كان الرجوع إلى كشف الأنبياء، وعلّمنا أنّ صاحب ذلك الكشف قد طرأ عليه خللٌ بكونه زاد على كشفه نوعاً من التأويل بفكره فلم يقف مع كشفه، كصاحب الرؤيا فإنّ كشفه صحيحٌ وأخبر عمّا رأى ويقع الخطاء في التعبير لا في نفس ما رأى، فالكشف لا يخطئ أبداً والمتكلّم في مدلوله يخطئ ويصيب...»<sup>(٦٢)</sup>.

فإنّ كشف الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) مطابقٌ للحقيقة والواقع دائماً، وذلك نابعٌ من كون أمزجتهم أعدل الأمزجة وأرواحهم أظهر الأرواح؛ لذا فما يحصل لهم من شهودٍ يكون صافياً وخالصاً من كلّ شوبٍ وسقم، وكلّما كان المزاج الروحاني أعدل كانت المكاشفات الحاصلة له أكثر صحّةً وأتمّ صفاءً.

وقد صرّح بذلك القيصري حيث قال: «وأصحّ المكاشفات وأتمّها إنّما يحصل لمن يكون مزاجه الروحاني أقرب إلى الاعتدال التام كأرواح الأنبياء والكمّل من الأولياء (صلوات الله عليهم)، ثمّ لمن يكون أقرب إليهم نسبةً...»<sup>(٦٣)</sup>.

إذ إنّ كان المعصوم يُشاهد أصول حقائق المبدأ والمعاد على حقيقتها، وإنّ سائر قواه النظريّة والعملية تتبع روحه العظيمة وقلبه الكبير، أي: إنّ روحه بحضورها في جميع المراتب وقلبه بسعته لجميع القوى يقومان بهداية القوى الأخرى من دون منازع، وفي هذه الحالة فإنّ جميع القوى التي تكون دون

ذلك تشايع الروح والقلب الواصلين إلى الشهود، فيتلقى العقل (المعاني الكلية) جيداً، كما تُدرك الواهمة ما يتنزل فيها جيداً، وكذلك تقوم التخيلة بالتصوير كما يجب، كما تشاهد قوّة الخيال ما يتجلّى بتمامه، وفي هذه الحالة يكون ما يُشاهد - سواء في اليقظة أو المنام - صادقاً، وما يُقال مطابقاً للواقع دائماً، وقد صرّح الباري تعالى في القرآن بأن ليس للشيطان طريقٌ إلى المخلصين وغوايتهم حيث حكى الله تعالى على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>(٦٤)</sup>؛ فلذا كان شهود صاحب هذا المقام وما يراه - وبسبب عصمته - ميزاناً لمشاهدة الآخرين، وفهمه - لمصونيته من الخطأ - معياراً لفهم غيره، فلو وضع ما يناله أصحاب هذا المقام في قالب المفاهيم أو الألفاظ لكان حجّةً وميزاناً لغيرهم من أصحاب العقول<sup>(٦٥)</sup>.

#### الأمر الثالث: أستاذ السير والسلوك

الأمر الآخر الذي يستعين به العرفاء لتمييز المكاشفات الحقّة عن الباطلة هو الأستاذ الحقيقي في السير والسلوك.

قال صائن الدين بن تركة بعد ذكره فائدة تحصيل المعارف المنطقية والحكمية في طريق العرفان: «هذا كلّ إذا لم يكن عنده شيخٌ مسلكٌ يرشده، وإمامٌ مكملٌ يقتدي به وبيده مقاليد أفعاله وأحواله، وأمّا إذا كان له ذلك فلكلّ منزلٍ ومقامٍ بحسب كلّ وقتٍ وإستعدادٍ علومٌ وميزانٌ يخصّه ينبّه السالك بحسب تفرّسه مراقبي إستعداده على تلك العلوم بموازينها»<sup>(٦٦)</sup>؛ ذلك لأنّ العرفاء يعتقدون أنّ الأستاذ الواقعي محيطٌ بجميع جنبات السالك وله العلم بنيّاته الظاهرة والخفية، فمثاله في علاج الأمراض المعنوية كمثال

## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمته المعرفية

الطبيب في علاج الأمراض الجسميّة، فالأستاذ على علم بإحتياجات السالك الروحيّة، وله القدرة على إعطائه ذكراً أو دعاءً أو عملاً أو مراقبةً عرفانيّةً بحسب الوقت والإستعداد الخاصّ الذي يتمتّع به؛ ولذلك نُقل عن بعض العرفاء أنّ السالك لو قضى نصف عمره في البحث عن أستاذ لم يخسر شيئاً. ثم إنّ المرشد هنا هو إمّا أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم معلّمو البشر أجمعين، وهذا لا إشكال ولا شبهة فيه.

كذلك من ثبت لك بالدليل القاطع أنّه طبيبٌ في هذا المجال له القدرة على تشخيص المرض وإعطاء الدواء للمسترشدين، على أن يكون من المجتهدين العادلين العالمين الذين قطعوا الطريق وخبروا آفاته وعقباته<sup>(٦٧)</sup>. ولا بدّ من التأكيد على أنّ الأستاذ المقصود هنا هو العارف الذي قطع الأسفار السلوكيّة جميعاً وخرج من أنانيته وخلقيته إلى فضاء الحقّ وأسمائه وصفاته فصار وجوده وجوداً حقّانياً، وبالتالي يأمن السالك من وقوع هذا الأستاذ نفسه في شباك الشيطان ومخالبه، فيتابعه في كلّ ما يأمره به ويرشده إليه.

### الأمر الرابع: المُكاشف نفسه

فقد أشار بعض المحقّقين إلى أنّ الحالات التي تمرّ على السالك ومدى الأخذ بيده إلى المقصد الأسنى الذي هو مشاهدة نور الحقيقة الإلهيّة المطلقة والتقرّب إليها فيكون رحمانياً، أو ما يبعد السالك عن ذلك القصد فيكون شيطانياً، وبالتالي سيكون مثل هكذا علم حجّة على نفس السالك من قبيل حجّية العلوم الحضورية التي تحصل للمرء فيقطع بها، وحجّية مثل هكذا علم على صاحبه ضرورةً لا نقاش فيها.

يقول القيصري: «... والفرق بين الواردات الرحمانيّة والملكيّة، والجنّية

والشيطانية يتعلّق بميزان السالك المكاشف، ومع ذلك نؤمى بشيء يسير منها. وهو أنّ كلّ ما يكون سبباً للخير بحيث يكون مأمون الغائلة في العاقبة، ولا يكون سريع الانتقال إلى غيره، ويحصل بعده توجّه تامّ إلى الحقّ، ولذّة عظيمة مرغّبة في العبادة، فهو ملكيّ أو رحمانيّ، وبالعكس شيطانيّ... والأوّل [أي ما يكون سبباً للخير وهو غير الشيطانيّ] إمّا أن يتعلّق بالأمر الدنيويّة، مثل إحضار الشيء الخارجيّ الغائب عن المكاشف في الحال كإحضار الفواكه الصيفيّة في الشتاء مثلاً، والإخبار عن قدوم زيد غداً، وأمثال ذلك ممّا هو غير معتبر عند أهل الله فهي جنّيّ، وطىّ المكان والزمان والنفوذ في الجدران من غير الإنثلام والإنشاق أيضاً من خواصّهم وخواص الملائكة التي هي أعلى مرتبة منهم، فإن كان للكامل منها شيء [أي من طيّي الزمان والمكان] فمعاونة منهم [أي من الملائكة] ومن مقامهم.

وإن لم يتعلّق بها [أي: بالأمر الدنيويّة] ويتعلّق بالآخرة، أو كان من قبيل الإطّلاع على الضمائر والخواطر، فهو ملكيّ؛ لأنّ الجنّ لا يقدر على ذلك.

وإن كان بحيث يعطي المكاشف قوّة التصرّف في الملك والملكوت كالإحياء والإماتة والإخراج لمن هو في البرازخ محبوس وإدخال من يريد في العوالم الملكوتيّة من المريدين الطالبين فهو رحمانيّ؛ لأنّ أمثال هذه التصرّفات من خواصّ المرتبة الإلهيّة القائم فيها وبها الكمّل والأقطاب. وقد يقال لغير الشيطاني كلّها رحمانيّ...»<sup>(٦٨)</sup>.

كما ويمكن الاستدلال على إمكان السالك نفسه وقدرته على تشخيص الكشف الصحيح من باطله بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ

## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

لَكُمْ فُرْقَانًا... ﴿٦٩﴾ .

وتقريب الإستدلال هو: المفروض أن السالك لا يصل إلى الكشف والشهود الحقيقي إلا بعد قطع المنازل والمقامات الطبيعية والنفسية والوصول إلى معدن الحقيقة وهذا لا يتم إلا بتهذيب النفس وقطع علائقها بعالم المادة وترك الدنيا وملذاتها والتمكّن في تقوى الله سبحانه ومراقبة النفس، والآية الكريمة تنصّ على أن من يتقي الله يجعل الله له فرقاناً يمكنه من خلاله التمييز بين الحقّ والباطل والتفريق بينهما، والسالك الواصل متمكّن من تقوى الله قطعاً وإلا لما وصل، فتكون النتيجة أن الله يعطيه قوّة يمكنه من خلالها التمييز بين باطل الكشف وصحيحه (٧٠).

كذلك يمكن الإستشهاد بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧١).

### نتائج البحث

١. إنَّ للإنسان أدوات ظاهريّة يُدرك بها الواقع المادّي المحسوس، وله أدوات باطنيّة يُدرك بها الواقع المجرّد عن المادة.
٢. القلب أداة الإنسان لإدراك الحقائق الوجوديّة السعيّة، فإذا ما إرتفعت الحجب عن القلب إنكشف الواقع له بمقدار سعته الوجوديّة وطهارته القليبيّة.
٣. الكشف والشهود على مراتب منها الصوري الذي يكون مع الصورة والمثال، ومنها المعنوي الذي لا ترافقه الصورة والمثال بل يكون أعلى وأرفع من ذلك.
٤. لقد دلّت آيات وروايات كثيرة على أصل طريق الكشف والشهود

ومجاهدة النفس وتطهير القلب عن أدران الذنوب والمعاصي والتعلق بالملذات الدنيوية لنيل الحقائق العالية والتقرب إلى الله تعالى.

٥. يفضل العرفاء طريق الكشف والشهود على طريق النظر الفكري؛ وذلك مضافاً إلى علوِّ الأوَّل ورفعته هو أيضاً ينال الحقائق بينما الثاني لا ينال إلا المفاهيم الذهنيَّة، كما أنَّ الأوَّل لا يحصل فيه التخبُّط والشكَّ بخلاف الثاني.

٦. الكشف والشهود حجَّةٌ على صاحبه لأنَّه يعتبر من باب العلم الحضوري الوجداني الذي يتمتَّع بالحجِّية الذاتية، ولكن ربَّما يُشكك في حجِّيته على الغير فيُدَّعى بأنَّه لا قيمة له بالنسبة للغير. ويمكن الجواب على ذلك بأنَّه حجَّةٌ على الغير أيضاً فيما إذا ولَّد له اليقين من خلال القرائن وتظافر الأخبار.

٧. للكشف والشهود موازين عدَّة ذكرها المحقِّقون في مصنَّفاتهم يمكنهم من خلالها التمييز بين الكشف الصحيح والكشف الباطل.

٨. من أهمِّ تلك الموازين هو أن لا يخالف الكشف نصَّ القرآن وصريح السنَّة القطعيَّة، وأن لا يخالف العقل القطعي (لا الظنِّي أو المشتبه)، ومن تلك الموازين أيضاً الأستاذ الذي صار وجوده حقَّانياً، والميزان الأخير هو السالك نفسه والحالات التي تحصل له.

والحمد لله ربَّ العالمين





### المصادر

١. الإشارات والتنبيهات، للشيخ أبي علي حسين بن عبد الله بن سينا، مع الشرح للمحقق نصير الدين الطوسي، وشرح الشرح للعلامة قطب الدين الرازي، نشر دار البلاغة، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٣٧٥ ش.
٢. الأصول من الكافي، لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، الطبعة السادسة، دار الكتب الإسلامية، إيران - قم.
٣. إعجاز البيان في تفسير أم القرآن، صدر الدين القونوي، قدّمه وصحّحه: السيّد جلال الدين الأشثاني، الناشر: بوستان كتاب، إيران، قم، الطبعة الأولى ١٤٢٣ ق.
٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للعلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، تحقيق ونشر دار إحياء التراث، لبنان - بيروت، ١٤١٢ هـ.
٥. بداية الحكمة، للعلامة محمد حسين الطباطبائي، صحّحه وعلّق عليه الشيخ عباس علي الزارعي السبزواري، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم، الطبعة السادسة عشرة، ١٤١٩ هـ.
٦. تمهيد القواعد، لصائن الدين بن تركة، مع حواشي السيّد محمد رضا قمشئي والميرزا محمود القمي، تقديم وتصحيح وتعليق الأستاذ جلال الدين الأشثاني، الناشر بوستان كتاب، دفتر تبليغات إسلامي، إيران - قم، الطبعة الثالثة، ١٣٨١ ش.

٧. التمهيد في شرح قواعد التوحيد، تأليف صائن الدين علي بن محمد التركية، صحّحه وعلّق عليه: الأستاذ العارف العلامة حسن زاده آملي، الناشر: ألف لام ميم، إيران - قم، الطبعة الثانية، ١٣٨٦ ش.
٨. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، للحكيم الإلهي والفيلسوف الربّاني صدر الدين محمد الشيرازي (المعروف بملاً صدرا)، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٩ هـ.
٩. دروس اتحاد عاقل به معقول، آية الله حسن زاده آملي، الناشر: انتشارات قيام، إيران، قم، الطبعة الأولى ١٣٧٥ ش.
١٠. رسائل القيصري، التوحيد والنبوة والولاية، أساس الوجدانية.
١١. رسالة الولاية، للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي، مطبوع ضمن كتاب طريق عرفان، ترجمة وشرح رسالة الولاية، نشر بنخشایش، إيران - قم، الطبعة الرابعة، ١٣٨٢ ش.
١٢. شرح العيون في شرح العيون، لآية الله حسن زاده آملي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب (مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، إيران - قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩ هـ.
١٣. شرح الحديث، لصدر الدين القونوي، تحقيق: حسن كامل ييلمار، انتشارات بيدار، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٣٧٢ ش.
١٤. شرح فصوص الحكم، لداود القيصري، بتعليق العلامة حسن زاده آملي، طبعة بوستان كتاب، إيران - قم، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ.
١٥. شرح فصوص الحكم، لمؤيد الدين الجندي، صحّحه وعلّق عليه: السيد جلال الدين الأشتياني، طبعة بوستان كتاب، إيران - قم، ط ٣،

## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

١٤٢٩هـ.

١٦. شرح مراتب الطهارة، للأستاذ داود صمدي آملي، نقله إلى العربية وحقّقه: محمّد الربيعي البغدادي، الناشر: روح وريحان، إيران - قم، ١٤٣٤هـ.

١٧. عوالي اللئالي، لابن أبي جمهور الإحسائي تحقيق ونشر: آقا مجتبی العراقي، إيران - قم ١٤٠٥هـ.

١٨. الفتوحات المكيّة، للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ)، ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه أحمد شمس الدين، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٩. الفكوك، لصائن الدين بن تركة، ترجمة: محمد خواجهوي، انتشارات مولی، طهران - إيران، ١٤١٧هـ.

٢٠. المحجّة البيضاء، للمحقّق والمحدّث والحكيم محسن الكاشاني (الفيض الكاشاني) صحّحه وعلّق عليه علي أكبر غفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، إيران - قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

٢١. مصباح الأنس في شرح مفاتيح الغيب، لحمزة الفناري، مع التعليقات عليه، صحّحه وقدم له: محمّد خواجهوي، انتشارات مولی، إيران - طهران، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ.

٢٢. منازل السائرين، لأبي إسماعيل عبدالله الأنصاري، شرح كمال الدين عبد الله القاساني، تحقيق وتعليق محسن بيدارفر، انتشارات بيدار، إيران - قم، الطبعة الثانية، ١٣٨١ ش.

٢٣. الميزان في تفسير القرآن، للسيد العلامة محمّد حسين الطباطبائي

- مؤسسة مطبوعات إسماعيليان، إيران - قم.
٢٤. نهاية الحكمة، للحكيم الإلهي والمفسر الكبير العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، صححها وعلق عليها غلام رضا الفياضي، مركز انتشارات آموزشي وپژوهشي إمام خميني، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.
٢٥. نظرية المعرفة في القرآن، آية الله الشيخ جواد آملی، ترجمة: دار الإسرائ للتحقيق والنشر، نشر: دار الصفوة، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٦ م.
٢٦. أمالي الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، نشر: كتابچی، طهران - إيران، ط٦، ١٣٧٦ ش
٢٧. فلاح السائل ونجاح المسائل، علي بن موسى المعروف بابن طاووس، نشر: بوستان كتاب، قم - إيران، ط١، ١٤٠٦ هـ
٢٨. الآداب المعنوية للصلاة، الإمام الخميني، نشر: مؤسسة نشر تراث الإمام الخميني، طهران - إيران، ط٥، ٢٠٠٣ م.
٢٩. الوافي في شرح الكافي، محمد محسن بن شاه مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني، نشر: كتابخانه إمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، اصفهان - إيران، ط١، ١٤٠٦ هـ.
٣٠. الرؤية الكونية في العرفان النظري، من أبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم: محمد الربيعي، مؤسسة الإمام الجواد (ع) للفكر والثقافة، بغداد - العراق، ط١، ٢٠١٥ م.

## الهوامش

- (١) للتفصيل انظر كتابنا: الرؤية الكونية في عرفان النظري: ٤٦.
- (٢) انظر: الآداب المعنوية للصلاة، السيد الخميني: ٢٨، وكذلك: ٢٨٧.
- (٣) وسيأتي قريباً بيان المراد من القلب.
- (٤) العين السادسة والأربعون، في (إثبات القوّة القدسية) من كتاب «شرح العيون في شرح العيون» للأستاذ حسن زاده آملي، فراجع.
- (٥) ربما كان هناك من يعتقد بالتفريق بين الكشف وبين الشهود (انظر: الرسالة القشيرية: ص ١٥٠؛ مصباح الهداية، للكاشاني: ص ١٣١؛ منازل السائرين، للأنصاري: ١٢٤؛ الفتوحات المكية: ٢: ٤٦٩)، إلا أننا نقول: إن ذلك راجع للتفريق بين مراتب نفس الكشف فبعض تلك المراتب تختلف عن البعض الآخر وبالتالي تكون المرتبة الأعلى أفضل من التي دونها فيطلق على الإدراك في الأولى الشهود وعلى الإدراك في الثانية الكشف.
- (٦) انظر: شرحنا على تمهيد القواعد ٢: ٥١١.
- (٧) انظر: المطالب (٥٨-٦٤) من تمهيد القواعد: ٣٨٣-٤٠٢، بتعليق الاشتياني؛ كذلك شرح الفصوص عند قول ابن عربي: «وهذا لا يعرفه عقل بطريق نظر فكري، بل هذا الفن من الإدراك لا يكون إلا عن كشف إلهي...» وقول القيصري في شرحه: «أي، هذا الأمر المذكور وتحقيقه، على ما هو عليه، طور وراء أطوار العقل، أي النظري، فإن إدراكه يحتاج إلى نور رباني يرفع الحجب عن عين القلب ويحدُّ بصره فيراه القلب بذلك النور، بل يكشف جميع الحقائق الكونية والإلهية. وأما العقل بطريق النظر الفكري وترتيب المقدمات والأشكال القياسية، فلا يمكن أن يعرف من هذه الحقائق شيئاً؛ لأنها لا تفيد إلا إثبات الأمور الخارجية عنها اللازمة إياها لزوماً غير بيّن...»

- فمتى توجه العقل النظري إلى معرفتها من غير تطهير المحل من الريون الحاجبة إياه عن إدراكها، كما هي، يقع في تيه الخيرة، ويبدأ الظلمة، ويخبط خبطة عَشواء...». شرح فصوص الحكم للقيصري بتعليقة العلامة حسن زاده آملي ١: ٢٣٤ - ٢٣٥.
- (٨) هناك أسباب ذكرها العرفاء في أفضلية منهج الكشف والشهود على منهج العقل النظري الفكري والتي منها:
- أ. علو المعارف الذوقية ورفعتها بالنسبة للمعارف الفكرية. انظر: تمهيد القواعد، ابن تركه: ٢٤٢؛ شرح فصوص الحكم، القيصري ١: ٢٣٦.
- ب. عدم تطرق الخطأ لطريق الكشف والشهود وتطرّقه لطريق الفكر النظري. نظر: إعجاز البيان في تفسير أم القرآن بتعليقة السيّد جلال الدين الإشتياني: ٢٢-٢٦؛ الوافي: ١: ١٣، نظرية المعرفة في القرآن، للشيخ جواد آملي: ٢٥٧.
- ج. العلم الكشفي ينال حقائق الأشياء بخلاف الفكري الذي ينال المفاهيم. انظر: شرح فصوص الحكم: ١: ٢٢٩؛ تمهيد القواعد: ٣٨٤، المطلب (٥٨).
- (٩) المنقذ من الضلال: ٤١-٥٤؛ كذلك انظر: شرح فصوص الحكم، القيصري ٢: ٧١٧.
- (١٠) انظر: المطالب (٥٨) من تمهيد القواعد: ٣٨٣، بتعليقة الاشتياني.
- (١١) واعلم أنّ لمراتب العقل هذه درجاتٍ ومراتبٍ جزئيةً، ولكلّ إنسان مرتبة منها حتى تصل إلى طرفين حاصرين لمراتب كثيرة - تبدأ من الأعلى وتنتهي بالأدنى - ربّما بلغت عدد أنفاس الخلائق.
- (١٢) انظر: شرح تمهيد القواعد في العرفان النظري: ٢ المطلب (٥٨).
- (١٣) انظر: شرح فصوص الحكم: ٧٩٣، كذلك ١: ١٣١.
- (١٤) الفتوحات المكيّة (٤ مجلدات): ١: ٢٨٩.
- (١٥) انظر: نظرية المعرفة في القرآن، للشيخ جواد آملي: ٢٤٥.
- (١٦) بحار الأنوار ١: ١٠٦، باب ٣- احتجاج الله تعالى على النَّاس بالعقل، ح ٤.
- (١٧) رسالة الولاية المطبوعة مع مجموعة رسائل العلامة الطباطبائي تحت عنوان الإنسان

والعقيدة: ٢٠٩.

(١٨) المصدر السابق: ١: ١٢٧، وقد خصص القيصري الفصل السابع من مقدمته على شرح الفصوص لبيان مراتب الكشف وأنواعها.

(١٩) شرح فصوص الحكم، لمؤيد الدين الجندي بتعليقة الإشتياني: ١٦٨، كذلك انظر: المصدر نفسه: ١٦٩.

(٢٠) انظر: شرح فصوص الحكم: ١: ١٣١.

(٢١) العنكبوت: ٦٩.

(٢٢) الأنفال: ٢٩.

(٢٣) الميزان في تفسير القرآن ٩: ٥٦.

(٢٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٢.

(٢٥) عوالي اللئالي، الإحساني ١: ٥٦، ح ٨١.

(٢٦) الكهف: ٦٥.

(٢٧) الوافي، الفيض الكاشاني ١: ٩.

(٢٨) البقرة: ٢٨٢.

(٢٩) الوافي، الفيض الكاشاني ١: ١٣، كذلك انظر: المحجة البيضاء ٥: ٤٦، (كتاب شرح عجائب القلب) ففيه بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل المجاهدة.

(٣٠) وقد أشارت لهذه الحقيقة كثير من الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢)؛ كذلك انظر: الميزان في تفسير القرآن ١٨: ٣٥٠، ذيل الآية.

(٣١) شرح فصوص الحكم، ابن تركة ١: ١٢٧.

(٣٢) تمهيد القواعد: ٢٩٢، المطلب (٣٣).

(٣٣) انظر: بحار الأنوار، المجلسي ١٨: ٢٦٠-٢٦١.

(٣٤) انظر: المصدر السابق: ٧٧: ١٦٦، ح ٢.

- (٣٥) إحياء علوم الدين، الغزالي ٣: ١٥٣.
- (٣٦) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، السيد حيدر الأملي: ٤٦٤.
- (٣٧) شرح فصوص الحكم، القيصري ١: ١٢٧-١٢٩.
- (٣٨) فلاح السائل، ابن طاووس: ١٠٧-١٠٨.
- (٣٩) شرح فصوص الحكم، القيصري ١: ١٣٢.
- (٤٠) وللتفصيل في بيان هذه المراتب والدرجات عليك الرجوع إلى كتاب شرح فصوص الحكم، القيصري ١: ١٣٣-١٣٩.
- (٤١) وقد ذكر العرفاء مجموعة من العوامل التي تؤدي إلى انحراف المكاشفات وطروء الخلط والاشتباه عليها، من أبرزها وعلاوة على ما تقدم: ضعف الجسم بسبب الأمور الطبيعية، كالمرض وغيره. ضعف القوة العقلية. السير والسلوك بناءً على اعتقادات باطلة وغير صحيحة. الابتعاد عن الشريعة الحقّة وعدم الالتزام بها. عدم تطهير الباطن بشكل كامل من الرذائل والصفات الباطلة. عدم حصول الفناء الكامل وبقاء شيء من الأنانية وترسباتها. مداخلة الشيطان في المكاشفات (هذا إذا كان السالك في أوائل الطريق). منازعة القوى التي هي دون قوة (كالمثخيلة والمتوهمة) للقلب وخلط ما يعاينه بالأوهام والخيالات. للزيادة أنظر: الرؤية الكونية في العرفان النظري: ٧٢، تمهيد القواعد المطالب (٥٧-٦٠).
- (٤٢) للتفصيل أكثر انظر: بداية الحكمة، الطباطبائي: ٣٥، أول الفصل الأول من المرحلة الثانية، وكذلك: ١٧٤، أول الفصل الأول من المرحلة الحادية عشر.
- (٤٣) طبعاً يمكن التدقيق أكثر في مسألة حجّية الكشف على نفس المكاشف من خلال بحثه في بعدين: الأول هو حجّيته عليه حين المكاشفة، والثاني هو حجّيته عليه بعد المكاشفة، وربما شابه بعده الثاني مسألة حجّية الكشف على غير المكاشف من خلال إقامة الأدلة والبراهين على مطابقة الكشف للواقع.
- (٤٤) قال تعالى حكاية عن إبراهيم (عليه السلام): ﴿... قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي



أذْبَحُكَ... ﴿ [الصفات : ١٠٢].

(٤٥) في قصة سورة الكهف.

(٤٦) كقصة إلقاء الجسد على كرسي سليمان في الآية ٣٤ من سورة (ص).

(٤٧) انظر: أمالي الصدوق: ١٥٩، المجلس الثلاثون، ح ١.

(٤٨) بل يمكن الترفي إلى أكثر من ذلك في حال ما إذا كان الخبر الكشفي من أخبار

الآحاد إذا ما احتفّ بالقرائن المفيدة للاطمئنان كصدق المخبر وأمانته وتقواه وعدم

مخالفة المكاشفة للعقل وعمومات الكتاب والسنة.

(٤٩) انظر: نهاية الحكمة، الطباطبائي: ٤٥، أول الفصل الأول من المرحلة الثالثة؛

وكذلك: ٢٩٣، أول الفصل الأول من المرحلة الحادية عشرة.

(٥٠) انظر كتاب: دروس اتحاد عقل وعقل ومعقول، للعلامة حسن زاده آملي.

(٥١) انظر: شرح فصوص الحكم، القيصري بتعليقة الأستاذ حسن زاده آملي ١: ١٣٥.

(٥٢) فإن هناك أصول مسلمة عند العرفاء لا يختلف عليها بينهم أحد، فقد قال القونوي

مشيراً لهذه الأصول التي يمكن أن تكون دليلاً على غيرها من المسائل أو يستبطن منها

شيء من تلك المسائل: «وما من قاعدة من هذه القواعد إلا وتشتمل على جملة من

المسائل المتعلقة بأمهات الحقائق والعلوم الإلهية، يمكن تقرير بعضها بالحجج

الشرعية، وبعضها بالأدلة النظرية، وسائرهما بالبراهين الذوقية الكشفية، التي لا ينازع

فيها أحد ممن تحقّق بالمكاشفات النورية، والأذواق التامة الجلية؛ إذ كانت لكل طائفة

أصول ومقدمات هم مجمعون على صحتها، مسلمون لها، هي من جملة موازينهم التي

يننون عليها، ويرجعون إليها، فمتى سلّمت لمن سلّمت له من محقّقي أهل ذلك

الشان، تأتّى له أن يركّب منها أقيسة صحيحة، وأدلة تامة لا ينازعه فيها أرباب تلك

الأصول التي هي من موازينهم...». إعجاز البيان: ١٧-١٨.

(٥٣) انظر: المصدر السابق: ١٣٧؛ كذلك: شرح فصوص الحكم، القيصري ١: ١٢٣.

(٥٤) النفحات الإلهية: ١١٣.

- (٥٥) البقرة: ٢٦٨.
- (٥٦) مصباح الأنس: ٥٠.
- (٥٧) ولا يخفى عليك - إذ قد تنبّهت مما سبق - أن العارف والسالك في مقام الثبوت وحصول المكاشفة بحاجة إلى ميزان أيضاً كي يعرف من خلاله حقيقة مكاشفته من عدمها، نعم إن العارف الكامل والسالك الواصل لا يحتاج لمثل هذا الميزان؛ لأنه حينئذٍ سيكون ميزان نفسه، كما أوماً إلى ذلك المحقق القيصري في الفصل السابع من مقدّمته على شرح الفصوص. انظر: شرح الفصوص ١: ١٣٧، وتعليقه الاستاذ حسن زاده آملي عليه؛ كذلك انظر: نظرية المعرفة للشيخ جوادي: ٢٥٨.
- (٥٨) وقد صرح القيصري بعدم حجّية الكشف على غير المكاشف في شرحه على الفص الإسحاق من فصوص الحكم. انظر: شرح فصوص الحكم بتعليقه العلامة حسن زاده آملي ١: ٥٦٢، كذلك في رسائله: ٧.
- (٥٩) مفتاح الغيب المطبوع في مقدّمة مصباح الأنس: ٧، وانظر: شرحه في مصباح الأنس: ٤٨.
- (٦٠) شرح فصوص الحكم، القيصري، بتعليقه العلامة حسن زاده آملي ١: ١٢٣، كذلك انظر: تمهيد القواعد، تصحيح وتعليق الآشتياني: ٤٠٣.
- (٦١) تمهيد القواعد، تصحيح وتعليق الآشتياني: ٤٠٣.
- (٦٢) الفتوحات المكية (٤ مجلدات) ٣: ٧.
- (٦٣) شرح فصوص الحكم، القيصري ١: ١٣٥.
- (٦٤) الحجر: ٣٩-٤٠.
- (٦٥) انظر: نظرية المعرفة في القرآن، للشيخ جوادي آملي: ٢٢٢، وكذلك: ٢٥٩.
- (٦٦) تمهيد القواعد، بتعليقه الآشتياني: ٤٠٦.
- (٦٧) وللتفصيل أكثر في أهميّة المرشد والأستاذ عليك الرجوع إلى كتاب (شرح مراتب الطهارة): ١٨٢، وكذلك: ٣٤٨.

## الكشف والشهود؛ حقيقته وقيمه المعرفية

- (٦٨) شرح فصوص الحكم ١: ١٣٧-١٣٩؛ كذلك انظر: النحلة (١١) من النحات الإلهية للمحقق القونوي: ٧٦.
- (٦٩) الأنفال: ٢٩.
- (٧٠) انظر: الميزان في تفسير القرآن ٩: ٥٦.
- (٧١) العنكبوت: ٦٩.

